ثقافة المظاهرات

د. يوسف الحاضري

لم ولن تكون المظاهرات في أي زمان أو مكان أسلوباً ناجحاً للتغيير ما لم تكن مستندة على فكرة متحدة وواحدة الوعي الاجتماعي ومسيّرة برؤية واحدة الثقافة التعليمية للوصول إلى هدف محدد واضح المعالم تكون متبوعة بحالة استقرار وهدوء للبناء والتنمية والعمل الجاد والكفاح، ولم تكن هذه الصفات لتتوفر في مجتمعاتنا العربية والتي لها مميزات وخصائص مستندة على الدين الإسلامي وعلى العادات والتقاليد العربية وعلى الثقافات العلمية والأفكار الحديثة، فمجتمعنا العربي لم يجد في ثقافته الدينية أي مبرر يجوز له الخروج على نظامه السياسي ما لم يكن هذا النظام قد خرج مسبقاً على الشريعة الإسلامية السمحاء، ومجتمعاتنا الإسلامية لا يوجد فيها مبررات تندرج ضمن العادات والتقاليد والثقافة التاريخية تحفز للتظاهر ضد أمنه واستقراره ما لم يكن هذا الأمن والاستقرار غير متوفر أو متوافر لأن الخروج سيزيل هذه المظاهر الإستقرارية التي تهيئ الظروف للعامة لممارسة طقوسهم الدينية والحياتية على أكمل وجه.

أما عن ثقافة المجتمعات العربية ووفقا للفكر الديني العتيق المنبثق من روح الإسلام المتوافق مع كثير من العادات والتقاليد البناءة، ففكر الخروج للتظاهر سيقود الدولة الإسلامية إلى صراعات تحيدها تماما عن أهدافها الأساسية بل أنها ستفتح لها مجال من الحريات المطلقة غير المقيدة والتي تتجاوز فيها حدود العقل والمنطق وحدود الأرض والدين وحدود الفكر والثقافة لأن المظاهرات تجيز كل شيء وكل قبيح وكل مقيد وكل شيء فيها مباح ومستباح وبلا قيود على الإطلاق، عوضا عن أنها تعتبر متنفساً لبعض العامة الغوغاء والذين يجدون فيها كل ملذاتهم وطرقهم للاستيلاء على فرص للعيش والتعايش ومنها سيعيشون متربصين بأي فرصة أو حركة أو فكرة تقود إلى التظاهر، فالدين الإسلامي عندما جاء لم يأت ليقيد الحريات وإنما ليوجهها توجيهاً سليماً والمظاهرات فيها لا حدود ولا قيود للحريات بل إنها تتجاوز موضوع الحريات إلى التعديات والاعتداءات على الآخرين وإلى انتهاك حريات الآخرين واستباحة ممتلكاتهم وتحليل كل محرم وممنوع، لأن مسيريها ومنظميها وزراعيها في مجتمعاتنا وتحت ما يسمى (نظرية المؤامرة) لن يكتفوا بمظاهرة واحدة على أثرها يسقط النظام وتسقط الدولة بل سيتأكد يقينا أن الدولة لن تنهض مستقبلا على الإطلاق بل قد تستمر في تخبطاتها ومشاكلها وانهيارها واستمرارها في حالة التظاهرات والمواجهات بين المواطن والحاكم دون توقف أو هدنة للبناء والتنمية، ففي دولنا العربية خير مثال على ثقافة التظاهرات الهدامة، فتونس الخضراء استمر الأعادي في زجها من مشكلة إلى أخرى لتضمن عدم نهوضها مستقبلا أما مصر أم الدنيا فالظاهر للعيان أن شعبها استحب العيش في الشوارع أكثر من مكاتب العمل والإنتاج وحُبِبَ إليه المظاهرات وزُيّن في قلبه المشاكل خلال فترة ما بعد مبارك فكلما تحصل مشكلة بسيطة كانت أو كبيرة (وفق سنن الحياة التي لا تخلو من المشاكل) وجدنا وسائل إعلامها وتحت منظور (الحريات) تشحن الشعب ليظهر للعالم أنه يستطيع أن يجتمع ملايين في الشارع ولأن هذه الملايين لن تبني أو تشيد أو تنمي فلا ضير لأصحاب المؤامرات أن تستمر من وقت لآخر وكل من يقع في مشكلة فالميدان القاضي له، حتى وصل أمر الحاكم في هذه الدول إلى الوقوع بين نارين، نار البحث عن تثبيت الأمن والاستقرار والبناء والتنمية ونار الشعب الذي يخرج كلما وجد شيئاً لم يتماش مع فكره وثقافته وطموحه وغايته تحت منظور وكذبة اسمها (حكم الشعب نفسه لنفسه) مما يجعل من كل فرد رئيسا وحاكما وأصبحوا رعايا بلا تمييز، فكل فرد سيسعى لتغيير حاكم أو مدير لم يتوافق مع مزاجه وعقليته وستستمر الدول العربية في مثل هذه الدوامات.

ولعل في يمننا الحبيب مثال آخر على العشوائية في مسمى (مظاهرات) فاليمن تحكمها قوى حزبية (لها قاعدة شعبية) وقوى اجتماعية قبلية (لها قاعدة شعبية) وقوى مذهبية وغير ذلك وكل قوة لها قاعدة جماهيرية مما يعني أننا على محك المظاهرات لكل قوة ضد الأخرى (إذا ما قدر لأحدها الحكم) حتى أنها انتشرت أفكار هدامة تدعو لنهج هذا الأسلوب مستقبلا كلما رأوا أن هذا الحاكم أو هذا المسئول لم يتماش مع أهداف كل فئة أو رؤيتها أو حتى يمكن أن نطلق عليها (جنونها)،،، فأحزاب المعارضة خرجت لا تريد الحاكم الحالي لتغيره وفي حالة ما إذا قدر لها ذلك وخرج حاكم الأمس معارض اليوم إلى الشارع ليطالب بالتغيير وسيخرج هذا المذهب وهذه القبيلة لتطالب بتغيير هذا بعيدا كل البعد عن النهج الديني والنهج الديمقراطي الصحيح وليس الديمقراطي الغربي المستورد من دهاليز الماسونية العالمية والصهيونية وغيرها،،، وسنستمر في صراعات لا نهاية لها وستهلك الحرث والنسل لأننا استبدلنا تعاليم الدين الحنيف بتعاليم أشخاص وانتهجنا رؤى ومناهج محرفة ومنحرفة ودنيوية ووضعناها موضع المسير لنا والراسم لنا مستقبلنا وأسلوب التغيير الخاص بنا وفقا لآلية المظاهرات عند كل شاردة وواردة دون أن ندرك أو نعي لماذا خرجنا وما الهدف من خروجنا وما نتائج خروجنا وإلى متى سيستمر خروجنا وما المنهاج الذي سيسيرنا بعد تحقق أهداف هذا الخروج (إذا تحقق).

من أجل ذلك كنت ومازلت مصمما على الضرب بيد من حديد على كل من يريد أن يجعل من مسألة الخروج والمظاهرات التي تحاكي المظاهرات الماسونية المنبثقة من نظريات المؤامرة وأن تكون هذه المظاهرات عبرة لمن أراد أن يجعل هذه الأفكار ضمن دساتير الأمة العربية واليمنية المسيرة لنا لأن السماح لمثل هذا منهاج سيجعلنا نتطور وننمو ولكن إلى الخلف وليس إلى الأمام لأني سأرشح حاكما جديدا وعندما يفشل مرشحي سأجمع لي جمعاً وأتواصل مع جهات خارجية داعمة وأخرج أطالبه بالرحيل أو يخرج الآخر الذي فشل مرشحه للمطالبة برحيل مرشحي وهكذا نستمر في دوامة أساسها الدعوات التحررية العمياء والهوجاء وقاعدة أو كذبة اسمها حكم الشعب نفسه لنفسه لأننا مجتمعات لا ينفعها إلا الرؤية الإسلامية في الحكم والديمقراطية كوننا نحمل هذه الديانة منذ أكثر من ١٤٠٠ عام وما ثقافة المظاهرات إلا أفكار تم زرعها في صدور وعقول شعوبنا ليتم قيادتها كالأنعام والأغنام من قوى خارجية تستطيع أن تحركنا متى أرادت عندما تجد أن لها أهدافاً لابد أن تتحقق.

Alhadree__yusef@hotmail.com

جديرون بالاحترام

أحمد عبدالله الشاوش

.. ما لمسناه من عناية فائقة واهتمام منقطع النظير بالحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن الوافدين من كل بقاع الأرض وما لاحظناه أثناء تواجدنا بالمملكة العربية السعودية لأداء مناسك العمرة من أمن واستقرار وسكينة شيء يسعد القلب ويشرح الصدر، وتسخير كل الطاقات المادية والمعنوية في خدمة الأماكن المقدسة من توسعات وصيانة وأعمال نظافة وطواقم طبية وأمنية ومرشدين يتحلون بالصبر وقمة الأدب على مدار الساعة ساهرين ليلا ونهارا على خدمة ضيوف الرحمن مسجلين بتلك الأعمال الجليلة من صبر وعناء ومودة وتواضع وغيره أنصع الصفحات كتب الله لهم الأجر وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام قيادة المملكة الرشيدة.

فتحية إجلال وتقدير إلى خادم الحرمين الشرفين وتلك الأعمال والسجايا النبيلة دليل على أصالة هذه الأسرة الكريمة والشعب الطيب والبلد العظيم الذي كرمه الله من سابع سماء وجعله مهبطا للرسالات السماوية وإن تشريفه بالحرمين الشريفين عن سائر بقاع الأرض هو وسام إلهي إلى أن تقوم الساعة مهما نعق المزايدون وتحدث الحاقدون فتلك مشيئة الله.

أقولها بصدق هذه الأسرة الكريمة أهل للأمانة التي حملتها في الحفاظ على الأماكن المقدسة وخدمة ضيوف الرحمن من المعتمرين وحجاج البيت الحرام وإن إرساء دعائم الأمن والاستقرار هو توفيق من الله عز وجل وما شاهدناه وعايشناه في رمضان أنا وزملائي من مؤسسة (الثورة) للصحافة منذ بداية دخولنا الأراضي السعودية لأداء مناسك العمرة وعلى نفقتنا الخاصة من أمن واستقرار وسكينة حتى وصولنا إلى مكة والمدينة المنورة ومدى الاهتمام بالقادمين والتواضع والصدق والاحترام من قبل الجهات المختصة المتواجدة في الطرقات والأماكن المقدسة يفوق الوصف ويظهر تلاحم الشعب بقيادته واحترام الجميع للنظام والقانون وبعيدا عن أي مظاهر مسلحة ، كما أن ما يقدمه رجال الأعمال والتجار وبعض الميسورين في شهر رمضان الكريم للمعتمرين والحجاج أيام الحج من تمور وعصائر وماء ولبن وقهوة ووجبات غذائية متنوعة للصائمين داخل الحرم وخارجه بقاطراتهم ناتج عن إيمان صادق وعقيدة راسخة غايتها الأجر والثواب من الله تعالى وكذا أن مرور بعض المواطنين أيضا قبل أذان المغرب في الطرقات في رمضان بغية إفطار الصائم وقد لمسنا ذلك حتى في جدة وسعادة غامرة لنيل الأجر من الله قد أثر في نفوسنا إيجابا حتى أن أحد الزملاء كاد أن يبكي من ذلك التراحم والعطاء رغم ظروفه المادية الممتازة فتمنينا جميعا لو أن الروح وتلك النفس الطيبة والعمل الصالح سائد في بلدنا وسائر بلاد المسلمين.

shawish22@Gmail.com

اللهم استر عورات شوارعنا

عمر كويران

لا شكوى إلا لله، لأن شكوانا لغيره مذلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فلسنا بقادرين على تغيير نوايا المهندسين ولا لدينا استطاعة لإقناع مسئولي وزارة الأشغال ومؤسسة الطرق وإدارة الشوارع بتقديم ما يبرر السؤال عن كيفية منح المقاولات لمن لا صفة لهم بالعمل تجاه ما يشوب شوارعنا ويكشف عورتها بعد تلبيسها بالإسفلت عند هطول الأمطار.. وليس بقدرتنا التحقيق مع من يتلاعب بمصنف الاتفاقيات الموقعة مع هؤلاء المقاولين سوى المباشر منهم أو من هم في رحم الباطن.. وهذا أمر لا نعرف عنه تفاصيل لأنه يكشف مفرداته سوء العمل بحيثيات نتائجه بعد الانتهاء منه، وأغلب فئات مجتمعنا تشير بأصابع الاتهام نحو الجهات المسئولة في الدولة عن مستخلص ما يسفر عنه النهاية لمستوى ما تم.. دون إدراك من قبل من يتحمّل النتائج أن المولى عزّ وجلّ هو وحده عند الحساب في يوم «لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» وكون العلامة في مجرى البحث عن المال بصورة كانت ولو حرام غير واردة حروف معناها في عقول من لا يفهم أن الموت قادم لا محالة.. حملت هذه الأنفس خيار العبث بالنعمة من أجل العيش تحت سقف الغضب الربّاني، لهذا عميت لديهم البصيرة التي كشف بها الله محياها في معمد ما تعيش واقعه شوارعنا.. وعلى ضوء الكشف نسأل الله ستر عورتها بما يتوافق ووضع الحال المعاش حتى لا يسألنا الله عن سكوتنا لمثل هذه الأعمال.

لا أدري هل معالي وزير الأشغال المهندس وبقية من حوله في مرتع المسئولية بهيئة الطرق وإدارة الشوارع تكرّموا ولو من باب التعرف فقط النزول بعد الأمطار مثلا لمعرفة كيف وبالسرعة الفائقة تكشفت عورة الشارع سواءً نتيجة تجاهل المنحدر لسيلان المطر أو لمقر مشمول العمل برمّته وانخفاض مزوده بما يتطلبه الرصف المعتمد، هل فتش ومعه مسئولو إداراته عن مصوغ البنود المعقودة في الاتفاقيات مع المقاولين والأسباب المؤدية إلى ما هو عليه من حال للشوارع وتثبيت الأمانة بالعقاب.

هل سأل يوماً إدارات تصاميم وهندسة الطرق والشوارع عن المسببات التي تعرّض هذا الطريق أو ذاك الشارع للتصدع والتخريب في مراحل الانتهاء غير القابلة للتصديق لمن لديه عقل يفسر مرجعية العمل، في حين أن هناك معالم بمسمياتها المتعددة ومنظر مكوناتها تتعاطى مع مثل هذه الأمور بلغة مضخمة سطورها الاستشارات الهندسية والتصميم.. وكم هو مؤلم أثناء موسم الأمطار الإحساس بالمعاناة ليس لمجنى المطر فهي نعمة من الله للبشر،ولكن من خوف ما يتعرّض له الفرد والحيوان وغيره من الأخطار الملحقة لمنشط هذا الفعل السيئ لأصل وجوده بهذا الشارع أو ذاك الطريق فيدعو الله بالانتقام لمن أصابه ضرر جراء ذلك، كما نسأل المسئولين عن زياراتهم الرسمية وغير الرسمية إلى دول العالم عربية كانت أو أجنبية وحال شوارعها وطرقها العامة ونسبة المقارنة بشوارعنا وطرقنا والنظر من هذا المنطلق لمحور الفارق والتفكر فيه.

موقف المسلم من الفتن

إعداد/كفى سليمان الشوكاني

ذكر البخاري رحمه الله في «صحيحه» كتاب الفتن ؛ ابتدأه بقوله: باب :
قول الله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ..)، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذّر من الفتن».

وذلك أن الفتن إذا أتت ؛ فإنها لا تصيب الظالم وحده، وإنما تصيب الجميع، ولا تبقي -إذا أتت -لقائل مقالاً، وإنما يجب علينا أن نحذرها قبل وقوعهاوأن نباعد أنفسنا حقّاً بعداً شديداً عن كل ما يقرب إلى الفتنة أو يدني منها ؛فإنَّ من علامات آخر الزمان كثرة الفتن ؛ كما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتقارب الزمان،ويقلّ العمل،ويلقى الشح،وتكثر-أو قال : تظهر-الفتن».

وذلك لأن الفتن إذا ظهرت ؛ فإنه سيكون معها من الفساد ما يكون مدنياً لقيام الساعة.

ومن رحمة نبي الله صلى الله عليه وسلم بنا : أن حذّرنا من الفتن كلها.

الضوابط والقواعد الشرعية الواجب اتباعها في الفتن :

● الأول من تلك الضوابط والقواعد:

أنه إذا ظهرت الفتن، أو تغيرت الأحوال ؛ فعليك بالرفق والتأنّي والحلم، ولا تعجل.

هذه قاعدة مهمة : عليك بالرفق، وعليك بالتأنّي، وعليك بالحلم.

ثلاثة أمور:

● أما الأمر الأول – وهو الرفق – ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما ثبت عنه في الصحيح : « ما كان الرفق في شئ؛ إلا زانه، ولا نزع من شئ إلا شانه».

قال أهل العلم : قوله : « ما كان في شئ إلا زانه» : هذه الكلمة:« شئ» : نكرة أتت في سياق النفي، والأصول تقضي بأنها تعم جميع الأشياء ؛ يعني :

أن الرفق محمود في الأمر كله .

وهذا قد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم :« إن الله يحب الرفق في الأمر كله »؛ قاله عليه الصلاة والسلام لعائشة الصديقة بنت الصديق، وبوّب عليه البخاري في الصحيح ؛ قال :« باب الرفق في الأمر كله ».

● أما الأمر الثاني ؛ فعليك بالتأني ؛ يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة ».

والتأنّي خصلة محمودة، ولهذا قال جلّ وعلا : (ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا..) .

قال أهل العلم : هذا فيه ذمٌ للإنسان، حيث كان عجولاً ؛ لأن هذه الخصلة ؛ من كانت فيه ؛ كان مذموماً بها، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم غير متعجل.

● وأما الأمر الثالث ؛ فهو الحلم، والحلم في الفتن وعند تقلب الأحوال محمود أيما حمد، ومثنىً عليه أيما ثناء ؛ لأنه بالحلم يمكن رؤية الأشياء على حقيقتها، ويمكن بالحلم أن نبصر الأمور على ماهي عليه .

ثبت في « صحيح مسلم « من حديث الليث بن سعد عن موسى بن عُلَيٍّ عن أبيه :

أن المستورد القرشي – وكان عنده عمرو بن العاص رضي الله عنه – ؛ قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس « . قال عمرو بن العاص له – للمستورد القرشي – : أبصر ما تقول !

قال: وما لي أن لا أقول ما قاله رسول اللهِ صلى إله عليه وسلم ؟ قال : إن كان كذلك ؛ فلأن في الروم خصالاً أربعاً: الأولى : أنهم أحلم الناس عند الفتنة . الثانية : أنهم أسرع الناس إفاقةً بعد مصيبة ... وعد الخصال الأربع وزاد عليها خامسة .

قال أهل العلم : هذا الكلام من عمرو بن العاص لا يريد به أن يثني به على الروم والنصارى الكفرة ؛ لا ! ولكن ليبين للمسلمين أن بقاء الروم وكونهم أكثر الناس إلى أن تقوم الساعة لأنهم عند حدوث الفتن هم أحلم الناس ؛ فهيهم من الحلم ما يجعلهم ينظرون إلى الأمور ويعالجونها ؛ لأجل أن لا تذهب أنفسهم، ويذهب أصحابهم .

● الثاني من تلك الضوابط والقواعد:

أنه إذا برزت الفتن وتغيرت الأحوال، فلا تحكم على شيء من تلك الفتن أو من تغير الحال إلا بعد تصوُّره ؛ رعاية للقاعدة: « الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره».

وهذه القاعدة رعاها العقلاء جميعاً قبل الإسلام وبعد الإسلام، ودليلها الشرعي عندنا في كتاب الله جل وعلا : قال الله جل وعلا : (ولا تقف ما ليس لك به علم .) ؛ يعني : أن الأمر الذي لا تعلمه ولا تتصوره ولا تكون على بينه منه؛ فإياك أن تتكلم فيه، وأبلغ منه أن تكون فيه قائداً، أو أن تكون فيه متبعاً، أو تكون فيه حكماً .

● الثالث من تلك الضوابط والقواعد :

أن يلزم المسلم الإ نصاف والعدل في أمر كله .

يقول الله جل وعلا : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)(الأنعام: من الآية) .١٥٢.

ويقول جلّ وعلا : (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة)٨:

● الرابع من تلك الضوابط والقواعد :

ما دلّ عليه قول الله جل وعلا:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: من الآية)) .١٠٣.

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية، فقال : « عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة» .

وثبت أيضا في الحديث الذي رواه عبدالله بن أحمد في « زوائد مسند أبيه « :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجماعة رحمة، والفرقة عذاب « .

الفرقة بجميع أنواعها – في الأفكار، أو في الأقوال، أو في الأعمال – عذاب يعذّب الله جل وعلا به مَن خالف أمره وذهب إلى غير هداه .

أنظر إلى ما فعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ! أتدري ماذا فعل حين كان في الحج مع عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟ كان عثمان يتمّ الصلاة : يصلي في منىً أربع ركعات، والسنة أن يصلي المصلي في منى ركعتين : قصراً لكل رباعية .

عثمان رأى أن يصلي أربع ركعات لتأويل شرعي تأوّله، مع ذلك ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول : سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يصلي ركعتين لا غير لكل صلاة رباعية . قيل له : يا عبد الله بن مسعود ! تقول هذا وأنت تصلي مع عثمان بن عفان أربع ركعات ! لماذا ؟! قال : يا هذا ! الخلاف شر !

الخلاف شر ! الخلاف شر .....رواه أبو داود بإسناد قوي .

وهذا لأجل فهمهم للقاعدة الصحيحة، للقاعدة التي مَن أخذ بخلافها ؛ فإنه لا يأمن على نفسه الفتنة، ولا على غيره .

قال بن مسعود : « الخلاف شر « .

● الخامس من تلك الضوابط والقواعد :

أن الرايات التي ترفع في الفتنة – سواء رايات الدول أو رايات الدعاة – لا بدّ للمسلم أن يزنها بالميزان الشرعي الصحيح، ميزان أهل السنة والجماعة، الذي مَن وزن به ؛ فإن وزنه سيكون قسطاً غير مجحف في ميزانه ؛ كما قال جل وعلا في ميزانه : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)(الأنبياء: من الآية) .٤٧.

طالّعوا كتب عقائد أهل السنة والجماعة ؛ تروا أن فيها أبواباً مختصّة بحقوق الإمام على الرعيّة، وبحق الرعية على الإمام ؛ لأن ذلك به تحصل الجماعة، ويحصل به الالتفاف حول السنة والجماعة.

وهذا كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم حثٌ على النصح لأئمة المسلمين ولعامتهم في حديث : الدين النصيحة، وإذا ثبت أن النصح واجب، وأنه لا بدّ للمسلم أن ينصح ؛ فكيف تكون تلك النصيحة ؟ وكيف يكون ذلك البيان ؟ على ما جاء في السنة لا من عند أنفسنا .

ثبت في الحديث الصحيح أن عياض بن غنم قال لهشام ابن حكيم رضي الله عنهما وأرضاهما : ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أراد أن ينصح لذي سلطان ؛ فلا يبده علانية، ولكن ليأخذ بيده، ثم ليخلُ به، فإن قبل منه ؛ فذاك، وإلاّ ؛ فإنه أدى الذي عليه)، رواه ابن أبي عاصم في السنة وغيره وصححه الألباني .

اسمعوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنتم ولا شكّ حريصون على السنة ؛ كما أن أهل السنة والجماعة حريصون عليها .

إذا ترتب على الموازين السابقة الراية المسلمة من غيرها ؛ ترتبت الحقوق الشرعية على تلك الراية، وعلى بيان أن تلك الراية مسلمة، وليست براية غير مسلمة .

وتلك الموازين، إذا التبس على المسلم أو على طالب العلم : كيف يزن بها ؟ فالمرجع العلماء ؛ فإنهم هم الذين يزنون بالموازين الصحيحة، وهم الذين يقيّمون بالتقييم الصحيح، وهم الذين يحكمون بالحكم الشرعي الصحيح .

ولهذا ؛ فإن الحكم بالإسلام من عدمه، الحكم بالإيمان أو الكفر، مرجعه إلى علماء أهل السنة والجماعة، لا إلى غيرهم من المتعلمين الذين ربما علموا بعضاً وجهلوا بعضاً آخر، أو ربما عمّموا أشياء لا يجوز تعميمها .

فالحَكَم في ذلك لمن لم يستطع أن يزن بالميزان الصحيح من أهل العلم هم العلماء، وبقولهم يجب أن نأخذ، وبما صاروا إليه، والى ما صاروا إليه، يجب أن نأخذ في تقييم الإيمان والكفر، والوزن بتلك الموازين التي ذكرناها لكم .

مما يترتّب على تلك الموازين كما قرر أهل السنة والجماعة : أن الجهاد ماض مع كل إمام أو سلطان ؛ برّ أو فاجر، كل إمام أو سلطان، سواء كان برّاً أو كان فاجراً ؛ فإن الجهاد ماض معه، لا يجوز لأحد أن يتخلف عن راية الجهاد لأجل أن السلطان عنده مخالفات شرعية ؛ في أي وقت، وفي أي زمان .

وهذا الضابط لا بدّ لك منه في كل وقت ؛ فربما يحدث في المستقبل في سنوات تستقبلها من عمرك ما لا نعلمه، فيكون عندك ما تضبط به أمرك، ويكون عندك ما تزن به أحوالك، وما تزن به أفكارك .

ومن ذلك – أي: من تلك الحقوق – الدعاء لِمَنْ ولاه الله جلّ وعلا الأمر .

يقول البربهاري رحمه الله ناصر السنة إمام من أئمة السنة والجماعة في كتابه السنة، وهو مطبوع موجود ؛ يقول : إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان ؛ فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو على السلطان ؛ فاعلم أنه صاحب بدعة .

والفضيل بن عياض كان يدعو كثيراً للسلطان في وقته، ونحن نعلم ما كان من سلاطين بني العباس في وقتهم من أمور، كان يدعو لهم كثيراً ؛ قيل له :

تدعو لهم أكثر من دعائهم لنفسك ؟! قال : نعم ؛ لأنني إن صلحت فصلاحي لنفسي ولمن حولي، وأما صلاح السلطان ؛ فهو لعامة المسلمين.

ولهذا ؛ مَن أراد صلاحاً عاماً في المسلمين ؛ فليعلم الله من قلبه أنه يدعو مخلصاً في أن يصلح الله جلّ وعلا مَن ولاّه الله على المسلمين، مَن ولاّه الله أمر المسلمين، وأن يوفّقه إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإننا لا نرجو ولا نطمع في أكثر من أن يكون الهدى والعمل بالكتاب والسنة، والقلوب بيد الله جلّ وعلا، هو الذي يقلبها.

● السادس من تلك الضوابط والقواعد :

أن للقول والعمل في الفتن ضوابط ؛ فليس كل مقال يبدو لك حسناً تظهره، وليس كل فعل يبدو لك حسناً تفعله ؛ لأن الفتنة قولك فيها يترتّب عليه أشياء، ولأن الفتنة عملك فيها يترتّب عليه أشياء .

فلا غرو أن سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه يقول : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين : أما أحدهما ؛ فبثثته، وأما الآخر ؛ فلو بثثته ؛ لقطع هذا الحلقوم ! رواه البخاري في صحيحه .

قال أهل العلم : قول أبي هريرة : لقطع هذا الحلقوم ؛ يعني : أنه كتم الأحاديث التي في الفتن، والأحاديث التي في بني أمية، ونحو ذلك من الأحاديث وهو قال هذا الكلام في زمن معاوية رضي الله عنه، ومعاوية اجتمع الناس عليه بعد فرقة وقتال، تعلمون ما حصل فيه، وتعلمون تاريخه، فأبو هريرة كتم بعض الأحاديث ؛ لماذا وهي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! ليست في الأحكام الشرعية، وإنما في أمر آخر، لماذا كتمها ؟! لأجل أن لا يكون هناك فتنة في الناس، ولم يقل : إن قول الحديث حقّ، وأنه لا يجوز أن نكتم العلم ؛ لماذا ؟ لأن كتم العلم في هذا الوقتَ الذي تكلّم فيه أبو هريرة لا بدّ منه ؛ لكي لا يتفرّق الناس بعد أن يجتمعوا في عام الجماعة على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ويقول ابن مسعود فيما رواه مسلم في صحيحه : ما أنت بمحدّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم ؛ إلا كان لبعضهم فتنة .

الناس لا يتصورون كل كلام يقوله القائل فيما يتحدث به في كل أمر في الفتن ؛ فقد يسمعون منه أشياء لا تبلغها عقولهم، فيفهمون أشياء يبنون عليها اعتقادات، أو يبنون عليها تصرفات، أو يبنون عليها أحوالاً وأعمالا وأقوالا لا تكون عاقبتها حميدة .

لهذا كان السلف يعملون بذلك كثيرا .

أنظر إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى حيث أنكر على أنس بن مالك رضي الله عنه حين حدث الحجاج بن يوسف بحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم للعُرَنيين ؛ قال لأنس وأنكر عليه : لم تحدث الحجاج بهذا الحديث ؟! قال له لأن الحجاج عاث في الدماء، وسيأخذ هذا الحديث يتأول به صنيعه، فكان واجباً أن يُكتم هذا الحديث وهذا العلم عن الحجاج ؛ لكي لا يكون في فهمه وعقله – الذي ليس على السواء وليس على الصحة – أن هذا الحديث يؤيده، أو أن هذا الحديث دليل معه، فيفهمه على غير فهمه .

فالحسن رحمه الله أنكر على أنس رضي الله عنه –وهو الصحابي – تحديثه، وندم أنس رضي الله عنه بعد ذلك على تحديثه الحجاج بحديث العُرَنيين .

وحذيفة – قبل أبي هريرة – كتم أحاديث من أحاديث الفتن، لأنه رأى أن الناس لا يحتاجونها .

والإمام أحمد كره أيضا التحدث بالأحاديث التي فيها الخروج على السلطان، وأمر أن تشطب من مسنده ؛ لأنه قال : لا خير في الفتنة، ولا خير في الخروج .

وأبو يوسف كره التحدث بأحاديث الغرائب.

ومالك رحمه الله كره التحديث بأحاديث فيها ذكر لبعض الصفات .

المقصود من هذا : أنه في الفتن ليس كل ما يعلم يُقال، ولا كل ما يُقال يُقال في كل الأحوال.

لا بدّ من ضبط الأقوال ؛ لأنك لا تدري ما الذي سيحدثه قولك ؟ وما الذي سيحدثه رأيك ؟ وما الذي سيحدثه فهمك؟ والسلف رحمهم الله أحبو السلامة في الفتن، فسكتوا عن أشياء كثيرة ؛ طلباً للسلامة في دينهم، وأن يلقوا الله جلّ وعلا سالمين .

وقد ثبت أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لابنه حين حدّث في القيام ببعض الأمر في الفتنة ؛ قال لابنه : يا هذا ! أتريد أن تكون رأساً في الفتنة ؟ لا، لا والله .

فنهى سعد بن أبي وقاص ابنه عن أن يكون سعد أو أن يكون أبنه رأساً في الفتنة، ولو بمقال أو بفعال، ولو رآها حسنة صائبة ؛ فإنه لا يأمن أن تكون عاقبتها غير حميدة .

والناس لا بدّ أن يزنوا الأمور بميزان شرعي صحيح، حتى يَسْلَموا، وحتى لا يقعوا بالخطأ .

ثم إن للأعمال وللأفعال وللتصرفات ضوابط لا بدّ من رعايتها ؛ فليس كل فعل يُحمد في حال يُحمد في الفتنة إذا كان سيفهم منه غير الفهم الذي يُراد أن يُفهم منه .

فالنبي صلى الله عليه وسلم – كما روى البخاري في الصحيح – قال لعائشة :

لولا حدثان قومك بالكفر ؛ لهدمت الكعبة، ولبنيتها على قواعد إبراهيم، ولجعلت لها بابين .

النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يفهم كفار قريش الذين أسلموا حديثاً من نقضه الكعبة، ومن بنائه إياها على بناء إبراهيم، ومن جعله لها بابين :

باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون منه ؛ خشي أن يفهم منه الناس فهماً غير صائب، وأن يفهموا أنه يريد الفخر، أو أنه يريد تسفيه دينهم – دين إبراهيم –، أو نحو ذلك ؛ فترك هذا الفعل.

ولهذا ؛ بوّب البخاري – رحمه الله – باباً عظيماً استدلّ عليه بهذا الحديث ؛ ماذا قال ؟ قال : باب : من ترك الاختيار مخافة أن يقصر الناس عن فهمه فيقعوا في أشد منه .

وذكر البخاري تحت هذا الباب هذا الحديث النبوي .

وعند ذلك نعلم أنه لا بدّ من الفهم ؛ فالسرعة والتعجُّل أمور غير محمودة، فمَن الذي يلزمك بأن تتكلم في كل مجلس أو أن تتكلم في كل مجتمع بما تراه حقّاً في الفتن ؟ فالحق يبيّنه علماء السنة والجماعة، فإن كان عندك رأي أو فهم ؛ فاعرضه عليهم، فإن قبلوا ؛ فذاك، وإلا ؛ فقد برئت ذمتك من إطلاع عامة المسلمين على رأيك .

● السابع من تلك الضوابط والقواعد :

أن الله أمر بموالاة المؤمنين وخاصة العلماء :

فالمؤمنون والمؤمنات – كما قال جلّ وعلا – : (بعضهم أولياء بعض) ؛ كل مؤمن لا بدّ له وفرض عليه : أن يحب المؤمنين، وأن ينصرهم وأن يجتنب السخرية منهم ؛ فكيف إذا كان أولئك المؤمنون هم أنصار شرعة الله، وهم الذين يبيّنون للناس الحلال والحرام، وهم الذين يبيّنون لناس الباطل ؟!

فيحرم أن يذكر العلماء إلا بخير .

والمجالس التي يذكر فيها العلماء بغير خير مجالس سوء .

لماذا ؟ لأن العلماء ورثة الأنبياء ؛ فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العلم، فمَن أخذه ؛ أخذ بحظ وافر .

فمن أحترم العلماء، وأجلّ العلماء، وأخذ بمقال العلماء أهل السنة والجماعة – أهل التوحيد – ؛ فإنه أخذ بميراث النبوة، ولم يدع ميراث النبوة إلى غيره .

والعلماء الذين يرجع إلى قولهم ويوالَوْن ويحبون : صفتهم : أنهم :

أولاً : هم أئمة أهل السنة والجماعة في وقتهم، وأئمة التوحيد، والذين يرجع إلى قولهم في التوحيد في وقتهم .

ثانيا : ثم هم : أهل الشمولية في معرفة الأحكام الشرعية، فيعلمون الفقه بأبوابه كلها، ويعلمون قواعد الشرع، والأصول المرعية، فلا يك